ظاهرة الحزن في شعر الشاعر بابكر عطيّة.

The phenomenon of sadness in the poetry of the poet Babiker Attia

الضو إبراهيم الضو أحمد [1]*

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية (السودان)، adawport2003@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/12 تاريخ القبول: 2023/06/03 تاريخ النشر: 2024/07/05

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على ظاهرة الحزن في شعر الشاعر بابكر عطية، ثم الوقوف عند القصائد التي طغت عليها ظاهرة الحزن ، وكيف تناولها الشاعر؟ ، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي معتمدة في مادتها على قصائد مختارة من ديوان الشاعر الموسوم بـ (دفتر التراب) ، ثم المصادر المساعدة، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: أن الشاعر بابكر عطية يغلب على شعره طابع الحزن والأسى، وذلك من خلال معظم القصائد التي وقف عندها الباحث، و تأثر الشاعر بغيره من الشعراء الذين غلبت هذه الظاهرة على أشعارهم من قدماء ومحدثين، و يرجع الباحث غلبة شعر الحزن عند الشاعر إلى المرض الذي أصابه منذ الصغر، وأخيراً توصي الدراسة بمزيد من الدراسات حول شعر الشاعر بابكر عطية.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة، حزن، شعر، الشاعر، بابكر عطية

Abstract:

The study aimed to identify the phenomenon of sadness in the poetry of the poet Babiker Attia, and then stand at the poems that were overshadowed by the phenomenon of sadness, and how the poet addressed them? The study followed the descriptive analytical approach based on selected poems from the poet's office marked with (dirt notebook), then auxiliary sources, and the the poetry of the poet Babiker Attia, and then stand at the poems that were overshadowed by the phenomenon of sadness, and how the poet addressed them? The study followed the descriptive analytical approach based on selected poems from the poet's office marked with (dirt notebook), then auxiliary sources, and the researcher returns the predominance of sadness poetry when the poet to the disease that afflicted him since childhood, and finally the study recommends more studies on the poetry of the poet Babiker Attia.

Keywords: phenomenon, sadness, poetry, poet, Babiker Attia.

1. مقدمة:

الحزن ظاهرة جديرة بالوقوف عندها إذ كثر تناولها عند الشعراء في العصر الحديث، وهذا لايعني عدم تناولها في الشعر القديم، فقد تناولها عدد من الشعراء القدماء، والمطلع الشعر القديم يجدها واضحة في أشعار الخنساء في رثاء أخويها، وفي شعر أبي ذؤيب في رثاء أبنائه، وعند جرير بن عطية في رثاء زوجه، وعند ابن الرومي في رثاء ابنه وكذا عند التهامي، إلا أن اللافت للنظر كثرة الحزن عند شعراء العصر الحديث وخاصة الرمانسيين منهم، وفي ذلك قال الشاعر إيليا أبو ماضي يقول:(وجدت الشعراء كالنساء يكثرن البكاء ويعجبن بالثناء) ، وذلك لكثرة الحزن والبكاء عندهم(سعد،1990م،107) قال الدكتور حمد النيل محمد الحسن: تغلبت ظاهرة الحزن عليهم، فنلاحظ على قصائدهم حزناً بيناً حتى يكاد القاريء يظن أن حياتهم خالية من أي فرح، أو سرور، ولعل هذا الحزن الذي يحسونه ويظهرونه حزن متوهم، مصدره إحساسهم بدنو شبح الموت الذي يتخيلونه قريباً منهم، ومن ثم تخوفهم منه.(محمد الحسن،2013م،126).

أهمية الدّراسة:

تكمن أهمية الدراسة في محاولتها الوقوف عند ظاهرة الحزن في شعر الشاعر السوداني بابكر عطية من خلال عدد من قصائد رأى الباحث أن ظاهرة الحزن واضحة فيها أكثر من غيرها.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أهم القصائد التي تغلب عليها ظاهرة الحزن ثم دراستها وكيفية تناول الشاعر لها واستخلاص النتائج منها.

مشكلة الدّراسة: تتمثل مشكلة الدراسة في طرح الأسئلة الآتية:

1-ما هي أسباب الحزن عند الشاعر؟

2- وكيف عبر الشاعر عن حزنه؟

3- ماشكل القصائد التي غلبت عليها ظاهرة الحزن؟

منهج الدّراسة:

اتبعت الدّراسة المنهج الوصفي التّحليلي، فهو منهج يقوم على رصد ومتابعة ظاهرة ما، ثم التعرف عليها ، ثم الحديث عنها، ثم الوصول إلى النتائج المطلوبة.

هيكل الدّراسة:

بدأت الدّراسة بمقدمة، ثم التعريف بالشاعر، ثم مدخل كان الحديث فيه الحزن، وأخيراً جاءت ظاهرة الحزن في بعض قصائد الشاعر.

2. التعريف بالشاعر:

هو بابكر محمد عطية محمد من مواليد مدينة الأبيض في شمال في العام1957م ، التحق بمدرسة الشرقية الخامسة (ب) بالأبيض، درس بمدرسة عاصمة كردفان الوسطي بالأبيض، التحق بمدرسة خور طقت الثانوية، ثم تخرج في معهد التأهيل التربوي 1982م.

عمل بابكر عطية مدرساً بمدارس كمبوني الثانوية بمدينة الأبيض في الفترة من (1981-2004م)، ثم معلماً بمدرسة النخبة الخاصة (2007-2005م)، وأخيراً عمل معلماً بمدرسة اقرأ النموذجية الخاصة (2008- 2018م).

عضو رابطة كردفان الثقافية له للشاعر بابكر عطية عدد من المؤلفات منها ديوان شعر بعنوان (دفتر التراب)، والذي حاز على جائزة الدولة في مهرجان الثقافة القومي الرابع عام 1997م.وقد رشحه لذلك الشاعر الكبير مصطفي سند ليكون إضافة حقيقة لديوان الشعر العربي، وله –كذلك- عدد من المخطوطات في مجال الأدب والنحو. نال الشاعر بابكر عطية عدداً من الجوائز منها وسام الجمهورية في العام 2016م، ووسام الإنجاز من رابطة ملتقى الشعراء العرب (القاهرة) 2016م.كما منح مجموعة من المداليات والأوسمة من مؤسسة الحسيني الثقافية بالقاهرة 2016م، وتم تكريمه بالقاهرة والمغرب.

حاز ديوانه (دفتر التراب) على المركز الأول باعتباره أفضل إصدار للعام 2019م من مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع(إبراهيم، 2022م،49).

3. مدخل:

الحزن في اللغة: جاء في أساس البلاغة للزمخشري: حزن- أحزنه فراقك، وهو مما يُحْزِنُه، وله قلبٌ حزينٌ ومحزونٌ وحَزِنٌ، وقد حَزِنَ واحْتَزَنَ.

قال العجاج: بكيتَ والمُحْتَزَن البكيُّ وما أشدَّ حُزْنَهُ وحَزَنُه، وأرضٌ حَزْنَة، وقد حَزُنَتْ واسْتَحْزَنَتْ، وأحْسَنُ من رَوْضَةِ الحَزْنِ، والروض في الحُزُونَةِ أحسن منه في السهولة، وهذه أرضٌ فيها حُزُونَةٌ وخُشُونَةٌ، وكم أسْهَلْنا وأحْزَنا... ومن المجاز: صوتٌ حَزِينٌ: رخيم، وقولهم للدابة إذا لم يكم وطيئاً: إنه لحَزْنُ المشي، وفيه حُزُونَةٌ، ورجل حَزْنٌ إذا لم يكن سهل الخلق، قال:

شيخٌ إذا ما لبسَ الدِّرعَ حَزَنْ سَهلٌ لمنْ سَاهَلَ حَزْنٌ للْحزَنْ (الزمخشري،1984م،ص125).

وفي لسان العرب لابن منظور: الحُزن والحَزن هما نقيضا الفرح، وهو خلاف السرور، والجمع أحْزَانٌ. وقد حَزِنَ حَزَناً وتَحَازَن وتَحَزَّنَ، ورَجُلٌ حَزْنَانٌ ومِحْزَان: شديد الحُزْنِ...والحزَنُ كل ماغَلُظَ من الأرض واخْشَوْشَنَ، والحُزُونَة هي: الخُشُونةُ، والحُزَنُ هي الجمال الغلاظ، الحزن من الدواب ماخشن، والحزون هي النشأة الشيئة الخلق (ابن منظور،1994م،ص111).

وكلمة حزن وردت في عدد من الآيات القرنية منها قوله تعالى:(فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولاتحزن)(القصص، 13) ، وقوله تعالى:(ورددناه إلى أمه كي تقر عينها ولاتحزن)(طه ، 40) وذلك في قصة نبي الله موسى عليه السلام بعد أن وضعته في صندوق و ألقت به في اليم.

ومن ذلك قوله تعالى: (قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)(الأنعام، آ33) وقوله:(فلايحزنك قوله إنا نعلم مايسرون ومايعلنون) (يس ،76).

وغيرها من الآيات الأخرى التي وردت فيها كلمة حزن، ومعنى الكلمة في الآيات السابقة متقارب لايخرج عن معاني الهم والغم والخوف والكآبة، وذلك بخلاف مانراه في بيت عمرو بن كلثوم في معلقته(التبريزي،1987م،ص272):

برأس من بني جشم بن بكر ندق به السهولة والحزونا

وفي قول الأعشى (التبريزي،1987م،ص262):

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليه مسبل هطل

ففي بيت عمروبن كلثوم تعني أننا ندق كل صعب ولين، وفي بيت الأعشى رياض الحزن أفضل من رياض الخفوض.

وعند المتنبي وردت كلمة الحزن بمعنى التحسر والألم والبكاء(خياط،2012م،ص261):

الحزن يقلق والتجمع يردع والدمع بينها عصي طيع

يتنازعان دموع عين مسهد هذا يجيء بها وهذا يرجع

وفي شعر العصر الحديث أكثر الشعراء الحديث عن الحزن، ولعل ضيق الشعراء بالمجتمع الذي يعيشون فيه وصعوبة الواقع، ومرارة الحياة من حولهم، وتوهمهم أن الحياة مملؤة بكل ماهو محزن، وأن السعادة فيها لاتعدو أن تكون وهماً يتطلع الناس إليه، أو قد يكون السبب مرضاً أصاب الشاعرفهو لايرجو الشفاء منه وغيرها من أسباب الحزن.

وعن ظهور شعر الحزن في الشعر السوداني الحديث قال الدكتور عبده بدوي: أشاع فشل ثورة 1924م الحزن في الناس، وكان أن انسحبو إلى دواخله يفكرون، ولقد ضاعف الحزن وفجره في آخر الأمر أن قبضة الإنجليز قد اشتدت على البلاد...(بدوي،1981م،ص147).

4. ظاهرة الحزن في شعر بابكر عطية:

ظاهرة الحزن في شعر بابكر عطية واضحة لاتكاد تخطئها العين وتبدو واضحة من أسماء قصائده فكثير منها يدل على الحزن ولننظر إلى العناوين الآتية:

قصيدته مرثية لشاعر المدينة- مواجع-غربة الروح-الرحيل في موسم الأحزان - قراءتان في ملحمة الموت والعشق - العودة إلى الأطلال - ومرثية جديدة لحب قديم.

قال الشاعر في قصيدته مرثية لشاعر المدينة(عطية،2019)

بطيئاً .. بطيئاً تموت القماري
ويستوطن الرعب أعشاشها
فأعدوا على طرقات المدينة
أصرح في الناس إني أرى
مدائن تبقي
وأخرى تولي

فيا شعراء المدينة
يأيها القابضون على الجمر
يأيها السائرون إلى القبر
إني رأيت كتاب الدموع يقول
قليلاً من الصبر يكفي
لهذا النواح
قليلا من الشدو يشدو
عميق الجارح
فغنوا ولو كلمات لها
لكل المنافي القوافي المساكن
تلك التي سكنتها العناكب
نام طويلاً عليها العفاء
فادعوا افتش كل الدروب التي
الفتها الطفولة
تلك التي أدمنتها الخطى العابرات
القطارات والمركبات الحميمات والسابلة أهوم حيناً
وحينا تساورني الوحشة القاتلة
أصيح طويلاً، وما من مجيب
سوي الريح تعرف الحانها
أصبح فأسمع في واهنات العروق
دبيب المراثي
وسوس العفاء كما العنكبوت
على القلب تنسج أكفانها
بطيئاً.. بطيئاً تموت الخلايا
فتبيض عيناي حزناً
وتسود في مقليتي المرايا
البياض استحال رماداً
(وكال حمادها)2
السواد استطال، وطال أطفالها
فأركض .. أكض أبعد من داميات الفصول
وأعرف إني مع الموت في هدنة لن تطول

- أخذها الشاعر من مثل سوداني مشهور هو قولهم: (الرماد كال حماد) قاموس اللهجة العامية في السودان، تأليف الدكتور عون الشريف قاسم، الطبعة الثالثة،، الدار السودانية للكتب2002م،
[2] ص405

وأهمس للناس غنوا لها:
بطيئاً .. بطيئاً تموت القماري
ويستوطن الرعب أعشاشها

الرثاء بوصفه غرض من أغراض الشعر العربي قديمه وحديثه يظهر فيه الشاعر شدة الحزن و ألم الفراق ومراراة الفقد، وقصيدة الرثاء تبدأ غالباً بالموضوع مباشرة دون اللجوء إلى المقدمات ، وقد خالف بعض الشعراء طريقة نظم قصائد الرثاء فبدأ الشاعر منهم قصيدته بالنسيب، ثم ينتقل إلى غرضه.

قال الدكتور شوقي ضيف :والرثاء من الموضوعات البارزة في أدبنا العربي، إذ طالما بكى شعراؤنا من رحلوا عن دنياهم، وسبقوهم إلى الدار الآخرة، وهو بكاء يتعمق منذ وجد الإنسان، ووجد أمامه المصير المحزن مصير الموت والفناء الذي لابد أن يصير إليه الإنسان، فيصبح أثراً بعد عين، وكأن لم يكن مذكوراً (ضيف، 1955م، ص5)

أما رثاء المدن فهو نوع من الرثاء اشتهر في الشعر الأندلسي خاصة، وعرف به وعدد من الشعراء منهم عبد المجيد بن عبدون، وأبو البقاء الرندي، وابن العسال وابن دراج القسطلي وغيرهم.

والملاحظ على قصيدة الشاعر بابكر عطية السابقة أنه لم يذكر إلا موت القماري البطيء الذي جعله: يعدو ، يصرخ، يصيح، وفي لهجة خطابية يخاطب شعراء المدينة يخبرهم بما رأى لا بما يحس، طالباً منهم الغناء للمساكن المهجورة، فهو يعدو صائحاً وباحثاً في دروب المدينة والقطارات والمركبات دون أن يجيبه أحد، وباكياً إلى أن ابيضت عيناه، وغامت الدنيا في عينيه، ويواصل الركض قبل أن يدركه الموت المهادن.

جمع الشاعر في قصيدته بين بطء الموت، وسرعة العدو، وقوة الصراخ. والموت يعني السكون إلا أن القصيدة مليئة بالحركة مما أفقدها رهبة الموت. إلا أن ماجمع بين الرثاء ورائحة الموت قد أورده الشاعر في قوله:(المساكن التي سكنتها، الوحشة القاتلة، الريح تعزف، تموت الخلايا).

والشاعر في رثائه كأنما يرثي المكان، فالقصيدة رثاء للمكان، وليس فيها مايشير إلى أنها رثاء لشاعر المدينة، اللهم إلا إن كان الشاعر يترقب الموت فيرثي نفسه، فهو يموت ببطء كما القماري التي خلت أعشاشها بموتها.

وقال في قصيدة مواجع: (عطية،2019)

بليت وأبليتني السنون المواجع
ويظلم هذا الفجر والفجر طالع
وأسال أحبابي وأهل مودتي
أفي الناس محزن غلته الأضالع؟
خلفت وحيداً في الأنام مسهداً
أنوح كما ناح الحمام السواجع
وأبكي على رسم تطاول عهده

ألا ليت أياماً مضين رواجع
ألا ليت من آخيت أوفاك وعده
وعادت لنا الأيام وهي روائع
تفكرت في الدنيا ففارقت أهلها
لعلمي أن الحب برق مخادع
فتهمي دموع العين والقلب واجف
ويجفو محب في التنكر بارع
وتمضي سنين البين والهجر وافر
وحسنك ماضي ليس منه مضارع
تأملت في الأيام حتي خبرتها
وفارقت بعضي يوم قلَّتْ دوافع
وأهمس للأحباب والهم ماثل
بليت وأبلتني السنون المواجع

يبدو أن أثر مخزون الشاعر من الكلمات والعبارات والجمل واضحاً في هذه القصيدة، فمحفوظ الشاعر في الوزن والألفاظ والتراكيب، في القصيدة من الموروث الذي دار على ألسنة الشعراء القدماء فلننظر إلى كلمات(بليت، ناح الحمام، رسم ، أبكي، ألا ليت، برق مخادع، البين).

وملاحظة أخرى وهي أن بإمكان الشاعر كتابة القصيدة بصورة تقليدية(صدر وعجز)، ولكنه آثر طريقة طريقة السطر الشعري، إلا أن ذلك لايقدح في مقدرته على النظم بالطريقة التقليدية التي تبدو واضحة في القصيدة.

ويبدو في القصيدة أثر لقصيدة المتنبي:

وحيد من الخلان في كل مهمه إذا عظم المطلوب قل المساعد

وفي قصيدة الرحيل في موسم الأحزان قال الشاعر: (عطية،2019)

ورحلت وحدك يا شفيف الروح
يا ألق الحروف الرائعة
وتركتني وحدي أكابد
وحشة السفر الطويل أجوبها
طرق الهموم السود محمولاً
على رهق السنين الموجعة
ورحلت لا عهدي القديم رعيته يوماً
وما قدرت حتى عشرة الأيام
لا أبديت عطفاً للعيون الدامعة
وأنا الذي لولاك ما عبرت
خيالات الضياع مشاعري
لولاك ما عرفت تواريخ الأسى

لولاك ما ظلت كؤوساً مترعة
ويظل يهرب من يدي عمري
فلا زهوي القديم حفظته
لا ازددت كيلاً من نمير الحب والأحلام
لا هومت حتى للأماني اليانعة
وتظل أنت كما عهدتك دائما تنأى
وتعلن عن رحيل العمر والأحلام
لا ألم الهوى أضناك يوماً
لا عرفت موجع الألم الأليم
ولا استبتت ملامح الحزن المقيم
وما قدرت في الإحساس حجم الفاجعة
وأخذت ترحل ممنعاً في الهجر
لا ودعت حتى سكة الشوق القديم
تركتني وحدي أصارع
لجة الأسف العظيم
أغالب الحسرات وهنا
والطيوف المفزعة
وأظل أخصفه التجلد صامتا
أجتر ماضي الذكريات لعلني
بالصبر أكبح سورة الألم المبرح
والسنين الضائعة

إذاً كان الرحيل سبباً في أحزان الشاعر فجاءت تراكيب الجمل عنده معبرة عن الحزن مثل كلمات:(وحدي أكابد، وحشية السفر، الهموم السود، السنين الموجعة)، ثم هو يلوم محبوبته(لا عهدي القديم رعيت، ما قدرت عشرة الأيام، لا أبديت عطفاً)، وهي شكوى كثيراً ما رددها الشعراء، ثم يعود مذكراً الحبيبة بما آل إليه حاله في صورة تجمع بين العتاب والضياع(لولاك)، فكأن كل الذي أصابه بسبب تلك المحبوبة(خيالات الضياع، نوازع الأسى، هروب العمر).

ويردف قوله مستغرباً ومستفسراً :(لا همت، دائماً تنأى، أضناك، لاعرفت مواجع الألم، الحزن المقيم، حجم الفاجعة، الهجر)، وهذا مايحسه الشاعر في نفسه وتمنى أن يشاركه فيه المحبوب.

ويختم القصيدة في استسلام(تركتني وحدي، لجة الأسف، اجتر ماضي، سورة الألم المبرح).

والقصيدة في مجملها شكوى وعتاب صور فيها الشاعر حاله مع محبوبته، ولم تخرج مفرداتها عن التعبير الاستعاري والكنائي في لغة تميزت بالحداثة، ويظهر ذلك في الاضافات

الغريبة(خيالات الضياع، نوازع الأسى، لجة الأسف)، ولاشك أن الشاعر قد تأثر بقراءاته ومحفوظه من الشعر قديمه وحديثه، وكذا باطلاعه على المناهج الأدبية والنقدية الحديثة.

وفي قصيدة التكوين الأول للمدينة النائمة قال: (عطية،2019)

نامت مدينتنا على قلبي
ونام السامرون وسائرون على الأسي
والليل نام على مصابيح الطريق
ونامت الأشباح في دمي المسافر
في الطريق إلى المهأوي الجلجلة
بالأمس نام التائهون من السفار
وعادت الأمطار تهرب عن مواعيد البذار
وهذه الأحلام تروى عن حكايات الأسى
والشمس نامت في حنايا المزولة
والليل نام علي قلوب البائسين
أكفهم للريح مشرعة
تفتش عن نهايات الدروب
وهذة الأحلام للوطن المعلق
في عيون العائدين تحجرت
في الريح تسأل
عن آونة الزلزلة
والرعب والأطفال يلتمسون برقاً من بقايا الريح والأمطار
يلتمسون دفناً
من بقايا الصيف والإعصار
يلتمسون شهداً من خلايا الحنظلة
يأيها الوطن المدور في دماي ترفعاً
يأيها المحزون مثل دواخلي
على المغني في تراك
خواطر الباكين

يوحي عنوان القصيدة بأن مدينة الشاعر في بداية تكوينها، تلك المدينة التي يتقاسمها النوم:(نامت مدينتنا، نام السامرون، الليل نام، نامت الأشباح، نام التائهون،، الشمس نامت، الليل نام)، فالزمان ليل مليء بالتساؤل والحيرة، فالبؤس والرعب والأطفال الذين يفتقدون الدفء، فكأنما يطلبون المستحيل، ثم الوطن الذي يخاطبه الشاعر(يأيها الوطن، يأيها المحزون،يأيها الباكي)،فالوطن(المترفع، والمحزون،والذي فطر منه، الباكي) تختلط فيه مشاعر الشاعر بين حزن الوطن، وأحلام الصغار، بين الواقع المؤلم (للمتعبين، الضامرين، الناحلين، الرافعين أكفهم، العيون الذابلة)، وبين وعده للوطن بأنهم(سنظل نحن، نناجز الريح

العنيدة، نغزل الأفراح)،ونجده يخاطب الوطن بضمير الجماعة حرصاً منه على إشراك الجميع في حلم الوطن بحياة كريمة.

ومن القصائد الأخرى التي تظهر عليها عاطفة الحزن قصيدته التي عنونهاب(غربة الروح) وقال فيها: (عطية،2019)

أغالبُ الدمعَ إنَّ الدمعَ هَطَّالُ
ياغربةَ الروحِ إنَّ الجرحَ قتّالُ
هي الحياةُ وبعضُ الساكنينَ دُمًى
والموتُ يوعظُ والسكانُ جُهَّالُ
هي الحقائقُ بعضُ الحقِّ مؤتلقٌ
والكلُّ يُسألُ يومَ العرضِ ما قالوا
للهِ درُكَ يامَنْ عشتَ في شظفٍ
مع المعاناةِ لمْ تغررْكَ أموالُ
هي الحياةُ كما عايشتها دِمَنٌ
اليومَ حالٌ فلا تهزمكَ أحوالُ
وعشْ وحيداً إذا ما رمتَ مَكْرُمَةً
إنَّ الكريمَ كريمَ النفسِ مِفْضَالُ
يمسي الغنيُّ فقيراً في وضاعتِهِ
وكمْ فقيراً غدا في الناسِ مِقوالُ
اللهُ حَسْبُكَ يامَنْ عشتَ في زمنٍ
عَطْلُ المروءةِ والمعروفُ أقوالُ
فكنْ على حذرٍ في الناسِ تأمنَهُمْ
فالناسُ ذخرٌ وبعضُ الناسِ أنذالُ

نظم الشاعر هذه على منوال الشعر التقليدي، فجاءت تقليدية في أغراضها التي تراوحت بين المدح والحكمة، والحكم فيها هي عينها حكم الأقدمين، وتؤكد أن الشاعر قد استقاها من مطالعاته على الشعر القديم فجاءت تكراراً لما عليه الحكم عند الأقدمين.

كما أن البحر العروضي هو البحر الذي نظم فيه شعراء الحكمة القدامى، وكأني به قد نظر على نونية أبي الرندي في المشهورة فظهرت القصيدة كأنها مجاراة لقصيدة الرندي، ولم يزد غير أن أعاد نظمها.

وفي قصيدته العودةُ الي الأطْلال قال: (عطية،2019)

أعُودُ إلى الديارِ وأبكي حظِّي
وهَلْ بَكَتِ الديارُ على غريبِ؟
أعانِي في الحياةِ ومَا دَعَانِي
إلى الأيامِ حُبٌّ في حبيبِ
وأبكي ملءَ جَفْنِي من مُصَابٍ

يعزُّ عليَّ في الزَّمنِ الصَّعيبِ
فِراق أحبةٍ قدْ أودعونِي
شجوناً عِشْنَ في زمنٍ عجيبِ
وأمضِي في بهيمِ الليلِ وهناً
سقيماً هَدَّه طولُ النَّحِيبِ
وأبسمُ للحياةِ مع بكائِي
برغمِ الهمِ والمرعَى الجديبِ
ورغم الريحِ تعصفُ كلَّ نبضٍ
وتأذنُ للرحيلِ مع المغيبِ
هي الأيامُ تجفو في جفاءٍ
حبيباً ضاعَ في الدَّربِ الرَّحيبِ
هي الأيامُ مقبرةُ الأمانِي
وموجعةُ الوداعةِ في الأديبِ
أسامرُ في الضلوعِ خيالَ طيفٍ
لطيفَ اللطفِ للرَّجلِ الأريبِ
فينأي الطيفُ محزوناً يُوَلِّي
ويمنعُ كلَّ عرقٍ من وَجِيبِ
ويمنحُ من قتامتِهِ سواداً
وكمْ في القلبِ من وجعٍ رهيبِ
وأغفو ليت شعريَ ما دَهاني
وهلْ أصبحتُ في كَرْبٍ كَرِيبِ؟
أسائلُ في الديارِ أما كفانِي
أما قاسيتُ من حظٍّ جديبِ؟
لماذا هذه الأيامُ تقسو
وتنقصُ كيلَ حبٍّ من نصيبِي
فلا ريحٌ أقاسمُها همومِي
ولا صبحٌ أطلَّ ولا طبيبِي
ولكنِّي برغمِ جراحِ عمرِي
ورغم القهرِ والهجرِ الكئيبِ
فعندَ اللهِ فيضٌ مِنْ بهاءٍ
ومن رحماته سرُّ الطبيبِ
لعلَ اليسرَ يعقبُ كلَّ عسرٍ
يكونُ النصرُ في الفتحِ القريبِ

القصيدة موضوعها الشكوى من الأيام، وملأها الشاعر بكاءً على أيام خلت، وبكاءً من حال يعيشه، وبكاء الأطلال ، وقديماً ذكر الشاعر أطلال أحبابه وبكاها فهاهو امروء القيس يقول في مطلع معلقته: (التبريزي،1987ص،11)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقال طرفة بن العبد:(التبريزي،1987،ص74)

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقال زهير بن أبي سلمى:(التبريزي،1987ص،126)

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتسلم

وفي العصر الحديث بكى الشاعر إبراهيم ناجي أطلال أحبابه فقال في مطلع قصيدته: .(محمد الحسن،2013م،ص153).

يافؤادي رحـــــــم الله الهوى كان صرحاً من خيـــــالٍ فَهَوَى
أسقني واشرب على أطلاله وارو عنّي طالما الدمع رَوَى

ولاعجب أن رأينا الشاعر يختار لقصيدته هذي(العودة إلى الأطلال) وللعنوان دلالته ، ثم بكى الشاعر أيامه وسقمه في مفردات تناسب البكاء والألم(مصاب، فراق، شجون، سقيماً، الهم، جفاء، ضاع، مقبرة، موجعة، وجيب، دهاني، كرب، قاسيت، همومي، القهر، الهجر)، وغيرها من المفردات والتراكيب التي تعبر عن حزن الشاعر، وما آل إليه من أحوال.

وفي قصيدة الليلُ والمدينة يقول فيها: (عطية،2019)

الليلُ أوغلَ في المسيرِ مدينتِي
والصبحُ يرقدُ خلفَ أقبيةِ الضفافْ
والحارسُ الليليُّ أضناه الوقوفْ
لكنّه أبداً يخافْ
الليلَ ما أقسي الليالي في الشتاءِ
بلا رفيقٍ أو لحافْ
فالبردُ يجتاحُ المداخلَ والسقوفْ
أواه ما أقسي الوقوفَ
المرَّ حينَ يجيئُ بردُ الذلِّ
مصحوباً بزمجرةِ العواصفِ والدفوفْ
البردُ ينهشُ في العظامِ
ولا دثارْ
وعلى الطريقِ ينامُ كلُّ الواقفينَ
على الرصيفِ
ولا قطارْ
وفي المساءِ مدينتِي
أواه حينَ تعودُ للذكرى

عذاباتُ الصغارْ
فالبردُ يهوى أنْ يقهقهَ
في البناياتِ الصغيرةِ والخيامْ
والحارسُ الليليُّ يحلمُ
أنْ يفكرَ أنْ ينامْ
وعلى الطريقِ يلوحُ مصباحٌ وحيدْ
سئمَ التوهجَ
فارتمى فوقَ الظلامْ
والليلُ داسَ على المواقدِ
والمصابيحِ الصغارِ مزمجراً
هذي المدينةُ يامصابيحَ الطريقِ بلا صباحْ
فالضوءُ ممنوعٌ هنالكَ والتوجعُ والنواحْ
والموتُ مقبرةٌ لكلِّ الحالمينَ
بدفءِ أروقةٍ فساحْ
والموتُ مقبرةٌ
لكلِّ الجالسينَ على رصيفِ الأنتظارْ
سكنَ الترقبُ فوقَ أعينِهم
هنالكَ يحلمونَ
فربما يأتي الصباحْ
ولربما في الليلِ يأتِي
طائرُ الأفراحِ تحملُه الرياحْ
لكنّهم لوْ يعلمونَ بأنَّ طائرَهُم
ينامُ على الأسَى
في الليلِ مقصوصَ الجناحْ
الحارسُ الليليُ يكبحُ صافناتِ النومِ
يحلمُ بالفِراشْ
النومُ فاكهةُ الشتا
رباه ما أقسى النعاسْ
الحارسُ الليليُّ حدقّ
في الطريقْ
اللصُ يجري والطريقُ
بلا أمانْ
والحارسُ الليليُ صاحْ :
_ يا أنتَ قفْ
مَن أينَ تأتِي والرياحُ

تسدُّ أرجاءَ المكانْ ؟
والحارسُ الليليُ حدقَّ
في الظلامْ
وعلى الجدارِ أراحَ
أعباءَ الليالِي ثمَّ نامْ

ليل موحش ذلك الليل الذي صوره الشاعر في القصيدة، الشتاء والبرد والعواصف، التوجع ، النواح، الموت. هذه عناصر الصورة التي رسمها الشاعر، وهو يصف تلك الليلة، ولاشك أنها الوحشة، وهو ليل الفقراء الذين ينتظرون الصباح، فرمز ابيرد والشتاء بلا لحاف هو حال المعدمين، وليل بلا مصباح وحارس يخاف كلها إشارات لعوالم المحبطين الذين ينتظرون على الرصيف.

القصيدة تصوير لحال البؤس، فالمصباح الوحيد لايضيء الطريق، والحارس قد تملكه الخوف فهو ليس بأحسن حال من المنتظرين على الرصيف، فهؤلاء يقتلهم الانتظار بلا دفء ولا دثار، فالمدينة لا أمان فيها، والشتاء عنوان الجفاف.

الليل هو ليل الظلم، والبرد برد الذل، والنوم على الرصيف دليل الضياع في تلك المدينة التي يضيع فيها الضعفاء فلا مأوى لهم غير الأكواخ، والخيام التي يقهقه فيها البرد والعذاب، مدينة تضيع فيها أحلام الصغاربصباح جديد فالظلام يلف المدينة ويبتلعها.

القصيدة عبارة عن قصة شخوصها الواقفون على الرصيف صغاراً وكباراً والحارس واللص وزمانها شتوي بارد، ظلام ضاعت معه أنوار المصابيح الصغيرة، أناس يحلمون بالدفء والضياء، ماسء تزمجر فيه الرياح فتطفيء المصباح ويعم الظلام وتطيش أحلام الناس وتختفي كما اختفى اللص عند صياح الحارس.

وهذه القصيدة تصوير للحياة، أو فلنقل تصوير لحياة الشاعر التي تمتليء بالأماني العذبة، والأحلام التي ملأت عقله فأطارتها حقائق الحياة.

ومع أن القصيدة تمثل موقفاً مؤلماً، نرى أن الشاعر استطاع أن يعبر عن حياة إن لم يكن يحياها فقد عايشها غيره، كما أن الشاعر قد نجح في رسم الصورة الشعرية التي كان للخيال دور في تركيبها.

ويبدو أثر قصيدة الشاعر السوداني محي فارس والتي عنوانها ليل ولاجئة تلك القصيدة يصور فيها لاجئة فلسطينية في إحدى مخيمات اللاجئين:

لا لا .. تنامي
الليل أوغل .. لاتنامي
الريح أطفأت السراج وقهقهت خلف الخيام

والقصيدة التالية هي: (ترانيم حامل الأوسمة)، قال فيها: (عطية،2019)

(1)
ضاقتْ بنا ذاتُ الرحابِ
وماعرفنا يا رحابْ

كيفَ المصيرُ
وهذه الأرضُ الخرابْ
حبلَى بآلامِ السنينِ الموجعاتِ
وهذه الأحلامُ حطّمَهُنَّ همُّ الهمِ والأحزانِ
والفرحِ اليبابْ
(2)
ضاقتْ بنا حتّى إذا ضنّتْ بنا أحلامُنا
وأخذتُ أغرسُ في حدائقِ وردِك الريانِ
أحلامي وأفتحُ ألفَ بابْ
ضاقتْ بنا
وتفرّدتْ في ضيقِها
وفضلتُ وحدي في متاهاتِ الدروبِ مسافراً
اجتازُ أبوابَ المدَى
وأعودُ لا أرضاً قطعتُ
وماتبقّى من رحيقِ العمرِ
ظهرٌ للإيابْ
(3)
وأظلُّ وحدي يا رحابْ
أعدو أفتشُ في الدروبِ النائياتِ
أسائلُ الطرقاتِ
يا طرقاتُ ، ماهذي الدروبُ الحالكاتُ ؟
أما لهذا الليلِ من ألقٍ يردُّ نضارتي
ويعيدني- فرحاً -
لأيامِ الشبابْ ؟!
(4)
هذا أنا
وحدي أنوحُ
أدقُّ أبوابَ المدائنِ
يا مدائنُ، غلّقِي الأبوابَ وانتظري فَتَاكِ
فربما في الليلِ عادْ
وأعودُ وحدي يارحابْ
ولهانَ أمرحُ
في مسافاتِ الأسَى
أسيانَ قدْ رُدَتْ
إلي مواجعِي ، حُمِلْتُ في قلبي عذاباتِي

وآلامَ الصحابْ
(5)
وأظلُّ وحدي يا رحابْ
والريحُ تهتفُ بي تعالْ
هذي دروبُ الريحِ
والتبريحِ والأملِ المحالْ
هذا أنا
بحرٌ من الأشواقِ
ينبعُ من دمِي
ألقٌ من الحبِ الفريدْ
لحنٌ يدوزنُ قصةَ الأحزانِ
يفتحُ باحةَ الشوقِ لميلادٍ جديدْ

عنوان القصيدة حامل الأوسمة، وكان الأجدى أن تسمى القصيدة حامل العذاب، فقد استهل الشاعر قصيدته بـ(ضاقت)، وما أقسى الضيق؟ ثم تابع القصيدة بكل ألفاظ العذاب والحزن(الأرض الخراب، السنين الموجعات، الهم والأحزان، متاهات الدروب، الدروب الحالكات)، والشاعر في غالب قصائده،مسافر، أو تائه في دروب المدينة يفتش بطرق الأبواب، وهو دائماً وحيدتائه، يعدو في الطرقات ليلاً.

لم نجد ذكراً للأوسمة التي يحملها، بل وجدنا أوسمة الهم والضياع، والشكوى من الوحدة والليل والهواجس المخيفة والمحيطة، مستفيداً من الموروث الديني (وأعود لا أرضاً قطعت، غلقي الأبواب، ردت إلى مواجعي)، ثم في المقطع الرابع يعود وقد تملكه الأسى والمواجع والعذاب والآلام، ثم في المقطع الخامس يشكو الوحدة، ويكرر ماذكره في المقطع الثاني من الوحدة، ويردف ذكر الوحدة في المقطع الثالث، وهكذا في المقطع الرابع، فالقصيدة مقاطع تحكي الأسى والحزن.

والقصيدة الأخيرة هي : مرثية جديدة لحب قديم يقول فيها الشاعر: (عطية،2019)

يحاصرُنِي الآنَ وجهُكِ
عندَ الظهيرةِ، في الفجرِ
بينَ النعاسِ وبينَ السهادْ
فتهربُ مني طيوفُ الأمانِي
فألقاكِ في رئتِي كالرمادْ
فارحلي من دمي واختفي
خذي الحبَّ والذكرياتِ
خذي النأيَ والأغنياتِ
من الهجرِ لا تكتفِي
كلّ ُ دربٍ يقودُ إلى البعدِ

دربٍ وَفِي
استدارتْ إلى القلبِ
مزولةُ الموتِ
الدروبُ تَسَامَتْ مع النبضِ عندَ الزوالْ
الزمانُ الحميمُ تولّي
زمانُ الفتوةِ ياعبلةَ الحبِّ
ماعادَ عنترُ يشخصُ في الناسِ عندَ السؤالْ
الخيولُ الأصيلةُ لم تَعُدْ
تتقنُ الركضَ عندَ الِنزالْ
والمساءُ المُدَلّي كما الذلِّ
لمْ تَخْتَفِ منه
نجمةُ حزنِي الطويلْ
فارحلِي أو قفِي
كلّ قلبٍ يَجِفّ به الوجدُ
قلبٌ عليلْ
كلّ هذي الدروبِ قريباً
تؤولُ إلي الانتهاءْ
كلّ هذي الوجوهِ
تبدلّ أزياءَها في المساءِ
وأنتِ كما الصخرِ
ما لاحَ فيكِ التبدلُ
ما لان فيكِ التحجرُ
ما كانَ فيكِ الرجاءْ
الخريفُ المقيمُ استفزَ
الملامحَ وَلّي
وأثلجَ فيكِ الشتاءْ

عند قراءة القصيدة الأخيرة لا ندرك أنها مرثية إلا من عنوانها، فالضمائر فيها ضمائر خطاب، ولكن ماعناه الشاعر هو موت الحب، وليس موت المحبوب، فالشاعر قد دفن ذلك الحب الذي جمعه بمن يحبه، ليس ذلك فحسب، بل طلب من محبوبه أن يأخذ كل ماكان يجمع بينهما(الحب ، النأي، الذكريات، الأغنيات)، ثم(فارحلي واختفي).

لم يعد قلب الشاعر يخفق بحبها فقد صرح بذلك:(الزمان الحميم تولى، ماعاد، لم تعد)، ويكرر دعواه(ارحلي)لأن هذا الدرب درب الحب يؤول إلى انتهاء، وتتبدل الأزياء والأشياء، إلا أن المحبوبة لاتتبدل لأنها (كما الصخر، التحجر)، ويعود الخريف وبثلج الشتاء.

القصيدة خطاب موجه لمحبوبة الشاعر، خطاب يدل على اليأس والعجز عن مواصلة مشوار الحب، ولكن الشاعر لم يستطع فكاكاً فوجه الحبيبة يحاصره في كل زمان في الفجر

والظهيرة، وهما وقت الصحو، وفي حالتي النعاس والسهاد، وهما مرتبطان بالنوم، وهي في رئته ودمه، فلا خلاص له.

وفي استسلام تام يعلن انهزامه، مبرراً انسحابه من معركة الحب متخذاً من عنترة وعبلة معادلاً موضوعياً للفوسية والهزيمة، ويرمي باللوم على المحبوبة المتحجرة، والمتجمدة العواطف.

5. خاتمة:

الحمد لله من قبل ومن بعد، فهذا محاولة لدراسة بعض قصائد الشاعر بابكر عطية رأى الباحث أن عاطفة الحزن بادية عليها فاختارها دون غيرها من قصائد دويوان الشاعر وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج منها:

1-أن الشاعر بابكر عطية يغلب على شعره الحزن والأسى، وذلك من خلال معظم القصائد التي وقف عندها الباحث.

2-تأثر الشاعر بغيره من الشعراء الذين غلبت هذه الظاهرة على أشعارهم من قدماء ومحدثين.

3- الألفاظ والعبارات التي استعملها الشاعر تدل دلالة واضحة على الحزن.

4-يرجع الباحث غلبة شعر الحزن عند الشاعر إلى المرض الذي أصابه منذ الصغر .

توصي الدراسة بدراسة شاملة لشعر الشاعر بابكر عطية تتناول حياته وشعره والخصائص الفنية والبيانية وغيرها.

6. المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- إبراهيم،الضو، أدباء كردفان-تراجم ونماذج-جمع وإعداد ، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع،الخرطوم، ديسمبر 2022م.

3- سعد، محمد بن حسين ،الأدب الحديث-تاريخ ودراسات- ، ط1411،5هـ/1990م،ج1

4- محمد الحسن ، حمد النيل ،الأدب في العصر الحديث(تاريخه-مدارسه- مذاهبه-سماته) ، الطابعون: مطبعة جامعة الخرطوم، 2013م.

5- الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ/1984م.

6- خياط، عبد الله عمر، جواهر المتنبي، ، ط3، 1433هـ/2012م،مطابع سحر، جدة.

7- عطية، بابكر، دفتر التراب ، مؤسسة النيل والفرات، القاهرة،2019م.

8- ضيف، شوقي، الرثاء، دار المعارف، القاهرة،ط2، 1955م.

9- التبريزي، الإمام الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي، شرح القصائد العشر، ضبطه وصححه الأستاذ عبد السلام الحوفي، دار الكتب -العلمية، بيروت، لبنان،ط2، 1987/1407.

10- بدوي، عبده، الشعر في السودان، عالم المعرفة، مايو1981م

11- ابن منظور أحمد بن المكرم، لسان العرب ، دار صادر بيروت، لبنان ، ط3، 1994م. -

12- قاسم عون الشريف ، قاموس اللهجة العامية في السودان، الطبعة الثالثة، الدار السودانية للكتب2002م.